

تاريخ القبول: 2022/04/10

تاريخ الإرسال: 2021/12/17

تاريخ النشر: 2022/04/24

التعدّد اللّغوي و مدلول الهوية الثقافيّة في المجتمع الجزائري

Multilingualism and the meaning of cultural identity in Algerian society

د. الجوزي وهيبية

جامعة مولود معمري تيزي زوز (الجزائر)، hibaeldjouzi@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث، إلى إبراز أهمية اللّغة، باعتبارها ناقلة للمعرفة عبر العصور والأزمنة، فلا حياة للمجتمعات ولا يمكنها أن تستمرّ في حياة هادئة وأمنة، دون وجود اللّغة والتنوّع الثقافي المكتسب من الآخر، وأنّ هذا لن يجدي نفعاً، طالما لم نتعرف على ثقافتنا وهويتنا وذواتنا كما يجب، فهناك عدّة دراسات سوسولوجية وأنثروبولوجية أنجزت، عالجت إشكالية الهوية والتنوّع الثقافي. فالفهم والتقييم لذواتنا، هي أول خطوة نحو تقييم الآخر، لتكون لدينا دلالة الوجودية مع الآخر والتعايش معه.

ومن خلال إدراك هويتنا وتنوّعنا الثقافي، كما أكدته منظمة "اليونسكو": أنّ التنوّع الثقافي ضروري للبشرية مثل التنوّع البيولوجي فهو ضروري للطبيعة، من هنا نطرح إشكالية البناء الثقافي وفرضية الانفتاح على الآخر، وفق مفهوم تواصلية لغوي دقيق يفيد المجتمعات، ويبعث فيها أمل تحسين واقعها وبناء مستقبلها، من خلال التعدّد اللغوي، باعتباره اللبنة الحقيقية الأولى نحو البناء الثقافي والانفتاح الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ البناء الثقافي؛ الهوية؛ التعدد اللغوي.

Abstract:

This research aims to highlight the importance of language as a vehicle of knowledge of all ages and times. Societies have no life and cannot survive in a peaceful and peaceful life, without the language and cultural diversity acquired from the other. This will not work, as long as we do not properly recognize our culture, identity and ourselves. Several sociological and anthropological studies have been carried out to address the problem of identity and cultural diversity. Understanding and evaluating ourselves is the first step towards evaluating the other. To have an existential connotation with the other and to live with it. By recognizing our identity and cultural diversity .Hence, we raise the problem of cultural construction and the hypothesis of openness to the other according to the concept of accurate linguistic communication beneficial to societies. It gives hope to improve its reality and build its future. Through multilingualism, as the first real building block towards cultural construction and social openness.

Keywords: language; cultural construction; identity; multilingualism.

المؤلف المرسل: وهيبة الجوزي ، الإيميل: hibaeldjouzi@gmail.com

1. مقدمة:

يشكل التعدد اللغوي مسألة ذات امتداد قوي وبيّن، في النقاشات السوسiolinguistic المعاصرة بحكم الإشكاليات التي يثيرها تفاعل المجتمعات الإنسانية الحديثة و يعتبر وجود أكثر من لغة في المجتمع الواحد وضعاً طبيعياً، غير أنه يتعين تدبير هذا التعدد حتى لا تتحول اللغات الوطنية إلى مجرد تنويع يقع على الهامش مفرغ من

كل محتوى وظيفي؛ كما أنّ غياب رؤية واضحة عن التدبير اللّغوي قد يحجب اللّغات الأجنبية من أن تكون آلية فاعلة في التّحوّلات الاجتماعية إلى المستوى العلمي والثقافي والحضاري. وموضوع التّعدّد اللّغوي موضوع شائك ومتنوع يحتاج إلى طرق كثير من المجالات المعرفية المرتبطة به من أجل الوقوف على أهدافه وسبل تطبيقه داخل المجتمعات، وأيضاً، ندرك الكيفية التي يَتَمّ بها الرّبط بين تعليم وتعلّم اللّغات ومدى الاستفادة من التّعدّد اللّغوي في مجالات متعدّدة تجلب التّوازن والانفتاح والابتكار.

2. الإشكالية

تُعَدّ اللّغة من العوامل الهامّة في نشأة الأمم، و تتنوّع ثقافتها فهي ملازمة للإنسان منذ نشأته كونها تتطوّر معه تبعاً للظروف البيئية والثقافية التي يحياها ويتعامل معها، فهي أداة التّفاهم ووسيلة التّواصل بين الأفراد والمجتمعات، وذلك من خلال التّعبير عن الأفكار ونقلها للآخرين لإحداث التّفاعل بين الأفراد والمجتمعات، ولما كانت اللّغة تتخطّى بعدها الزماني والمكاني لتحقيق الحيوية والنّماء كان الاقتراض بين اللّغات والتّواصل بينها سُنّة مطّردة أخذت بها اللّغات منذ أقدم الحقب، ولعلّ الاقتراض بين اللّغات يكسبها سعة وتنوّعا، ولكن في الوقت نفسه يترك آثاراً سلبية على سمات اللّغة؛ وذلك بتسلسل ألفاظ دخيلة لا تتفق وقوانين اللّغة، وهذا بالضرورة يؤثّر سلباً على نظام اللّغة الأم.

وهناك عدّة دراسات سوسيولوجية وأنثروبولوجية أنجزت، تحدثت فيها عن الهوية و التّنوع الثقافي، إنّ فهم وتقييم أنفسنا هي أوّل خطوة نحو تقييم الآخر، حتى تكون لدينا دلالة وجوديتنا مع الآخر، وأنّ نكون أكثر انفتاحاً وقابلية للتّنوع، ومن خلال إدراك هويتنا وتنوّعنا الثقافي، فإنّ بذلك يمكن لطلبتنا من التعلّم كيف يتمسّكون بهويتهم الثقافيّة وموروثهم الشّعبي مع هوية وإرث الآخرين هو ما أكّدته "

اليونسكو": "أَنَّ التَّنوع الثقافي ضروري للبشرية مثل التَّنوع البيولوجي فهو ضروري للطبيعة"؛ من هنا تتَّضح لنا رؤية بناء المجتمعات وفرضية انفتاحها وفق مفهوم تواصل دقيق، يفيد تلك المجتمعات وبيعث فيها أمل تحسين واقعها وبناء مستقبلها. بهذه المعطيات تدفعنا للكشف على المشهد اللغوي الجزائري الذي تشكَّلت في محيطه عدَّة لغات ولهجات، جزاء الاحتكاك والمحكَّ الاجتماعيين بفعل عوامل عدَّة منها الاستعمار التكنولوجي، والتي أدت إلى تمازج اللغات في عاميتها، والذي يتَّخذ طابعين اثنين: الثنائية اللغوية والازدواجية...إلخ. كما نحاول في هذا البحث معرفة واقع ظاهرة الثنائية اللغوية بين اللغة العربية واللغات الأخرى.

1.2 التساؤلات: و الإشكال المطروح في هذا البحث هو: هل مسألة التَّعدُّد اللغوي والهوية لهما تأثير على البناء الاجتماعي المنفتح على الغير والمتواصل مع الآخر؟

3. تحديد المفاهيم

1.3 مفهوم التَّعدُّد اللغوي: " plurilinguisme " تعدَّ ظاهرة التَّعدُّد اللغوي من بين الظواهر اللغوية التي شغلت فكر الكثير من الدارسين، وتعني أن يتكلم الفرد بأكثر من لغة واحدة، يستعملها في تواصله مع الغير، وقد تعني قدرة الفرد على استعمال أكثر من لغة واحدة. حيث يقف المتصقح للمعاجم الألسنية على تعريف عديدة لظاهرة التَّعدُّد اللغوي منها - "تعدُّد اللغات هو الوضع اللغوي لشخص ما أو يتقن أكثر من لغة لجماعة بشرية أو أكثر ويعني ذلك أن يجيد الشخص أو الجماعة لغتين أو أكثر، فيبرعان في استعمالها - ". عملية تلاؤم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلمون لغة أخرى "، أي تعايش الأفراد مع أشخاص من مجتمعهم يتكلمون لغة غير لغتهم. (ميشال زكريا، 1993، 35)

2.3 مفهوم التعددية اللغوية: إنَّ التَّنوع اللغوي واقع أفرزته التَّغيرات و التَّطورات التي عرفتها حياة الأفراد، وذلك نتيجة انفتاحها على الثقافات الأخرى بهدف تلبية

متطلبات العصر من التّقدّم والانفتاح، والإنسان كما هو معروف يسعى دائما إلى الاندماج والاختلاط مع بني نوعه، سواء في كنف الجماعة اللّغويّة أو خارج هذه الجماعة. استعمال لغتين أو عدّة لغات في خطاب الفرد أو الجماعة اللّغوية، من هنا فالتعدّدية اللّغويّة كما جاء في معجم تعليميّة اللّغة الفرنسيّة أنّ التعدّدية اللّغويّة هي: 'خطاب الفرد أو الجماعة اللّغويّة بشكل متناوب في سياقات مختلفة' - تواجد لغتين مختلفتين في فرد معيّن أو مجتمع معين. (JEAN CUP.2000. 36) ونعني بها أيضا « تواجد عدّة أنظمة لغويّة بين أفراد المجتمع » كما أنّ هناك مصطلحا لا يقلّ أهميّة عنه وهو التعدّدية اللّهيّة، وهي تميّز الأفراد المجموعات المستعملة لأكثر من لهجتين منطوقتين داخل البلد الواحد، كما هناك التعريف التالي للتعدّدية بأنّها: (... من الأفراد من يستخدم إلى جانب الفصحى لهجة أو لهجتين. قدرة الفرد على استعمال أكثر من لغة واحدة.) و بناء على التعريفات السابقة التي تؤكد ضرورة وجود لغات تتعايش لتكون هناك تعدّدية لغويّة. و لكن هذا لا يعني عدم التّفاوت فيما بينها من حيث التّعامل مع تعدّد اللّغات، إمّا على مستوى الكفاءة اللّغوية في اللّغات و إمّا على مستوى استعمال اللّغات. (بن عيسى النّيجي، 2000،50).

4. التعدّدية اللّغوية " Multilinguisme "

إنّ تطور اللّغة المستمرّ في معزل عن كل تأثير خارجي يعدّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقّق في أية لغة ما ، بل على العكس من ذلك فإنّ الأثر الذي يقع على لغة من لغات المجاورة لذا كثيرا ما يلعب دورا هامّا في التّطوّر اللّغوي. (علي عبد الواحد وافي، 2007، 341). فمتى أُتيح احتكاك لغتين في بلد واحد لامناص من تأثّر كل منهما بالأخرى ، سواء أن تغلّبت إحداها أو كتب لكتليهما البقاء ذلك لأنّ صراع وتنازع و احتكاك اللّغات ضرورة تاريخية. و احتكاك اللّغات يؤدّي حتما إلى

تداخلها و تعددها. فتعدّد اللّغات يعدّ ظاهرة مشتركة و عامّة و واسعة الانتشار من الطّواهر اللغوية المألوفة للغاية في كل دول العالم. و على هذا يمكن القول بأنّ تعدّد اللّغات يتعلّق بالكثرة و التّنوّع وذلك أن تكون اللّغات المستهدفة في الشكل و التّركيب و المعنى، كأن يتعلّم الطفل العربي اللّغة العربية و اللّغة الفرنسية. يكون التّعدّد بين لهجتين مختلفتين كأن يكون التّعدّد بين اللّهجة العاميّة و الفصحى.(عبد الباسط متولي خضر، د.ت، 3). ومصطلح تعدّد اللّغات مركّب من كلمتين و هما كلغة أجنبية ، أو تختلف اللّغتان من حيث النّطق و المعنى . و لكن يكون الأصل واحدا، كأن يتعلّم الطفل الانجليزية و اللّغة الفرنسية كلغة ثانية حيث الإنجليزية و الفرنسية من أصل واحد. و إمّا أن " تعدد " و "اللّغات". (لزمد الأوراعي ،2002، 11).

5. نشأة التّعددية اللّغوية

- لقد نشأت ظاهرة التّعدّد اللّغوي عن طريق ماييلي : (<https://197807>)
- **التّحاور:** إنّ اختلاف الشّعوب في اللّغة يؤدّي إلى التّعددية اللّغوية، و ذلك نتيجة الاحتكاك فيما بينها لأسباب اقتصادية، ثقافية، و اجتماعية. حيث أنّ التّواصل اللّغوي لشعبين مثلا يولّد احتكاكاً فعلياً لكلّ شعب تعلّم لغة الآخر، ففي شرق الولايات المتّحدة الأمريكيّة هناك متحدّثين للفرنسيّة، و لكنهم أقرب عرقياً للمواطنين المدينيين في مقاطعة كيبك و الألزاس و اللّورين، فهما مقاطعتان يسكنهما متحدّثون لأشكال من الألمانيّة و الفرنسيّة، حيث كانت هاتان المقاطعتان جزأين من فرنسا، إلّا أنّ السّكان الذّين يتكلّمون الألمانيّة يساهمون في خلق التّعددية اللّغوية في ذلك البلد. (فاسهلد رالف، 2000، 6).
 - **الائتلاف:** و ذلك باتّحاد مجموعات أو قوميات تحت سيطرة سياسيّة واحدة، و قد يكون الائتلاف إجبارياً، و قد يكون طواعياً. و مثال ذلك سويسرا و التي

يوجد فيه اتحاد من الدول الكانتونات و التي دخلت الائتلاف طواعيًا، و توجد في سويسرا أربع لغات لها مكانة رسمية هي: 'الألمانية، الفرنسية، الإيطالية، الرمانش"، و مثال آخر بلجيكا و الفلامين في الشمال، ويتحدث الفيلشيون لغة تلامنش نفس اسمه، وتشبه لغة الهولنديين. (فاسهلد رالف، 2000، 17).

• **الحروب:** عندما تقوم الدول المستعمرة بضمّ الدول المستعمرة و يكون ذلك بعد انتصارها و ضمّها للدول المنهزمة لجمهورية البلطيق (لاتيفيا، استونيا) بعد الحرب العالمية الثانية.

• **العمل:** إنّ غنى بعض الدول بالثروات الطبيعية أدّى بها إلى جلب العمّال. فنطعي مثال، دول الخليج تقوم بجلب العمّال الخبراء من الولايات المتحدة الأمريكية، و بريطانيا، اليابان، و غيرها من الدول المتقدمة اقتصاديًا، ممّا أدّى إلى تواجد عدّة لغات في بلد واحد، حيث أنّ سكانها يحاولون إتقان هذه اللّغات من أجل تسهيل التّواصل، لأنّهم يحتاجون إلى هؤلاء الخبراء، و هذا ما يسمّى بالإمبريالية الاقتصادية. التي تتمّ بقلّة من النّاس ينتمون إلى قومية مسيطرة، فتأخذ اللّغة الأجنبية طريقها إلى بلد ما، دون أن تكون للقومية المصاحبة أي سيطرة سياسيّة.

• **الهجرة:** تعود ظاهرة تزايد التّعدّد اللّغوي ضمن كثير من المجموعات بالمنظور التاريخي إلى عدّة أسباب، إذ تعتبر الهجرة إحدى المسبّبات لهذه الظّاهرة، و هذا نتيجة لحركات التّقلّل الإدارية لأناس يتكلّمون لغة معيّنة داخل منطقة أناس آخرين يتكلّمون لغة أخرى من أجل البحث عن حياة أفضل، فهجرة سكّان شمال إفريقيا إلى البلدان الأوروبية لا بدّ أن تحرّك أثاراً على الصّعيد اللّغوي، فبذلك تتكوّن مزيج لغوي منها العامّيات العربيّة و اللّغة الانجليزية و الفرنسية. و حينما تختفي ملامح التّجربة اللّغوية الفردية من المجتمع لسبب من الأسباب، و

تندفع تجارب لغوية أخرى باسطة يديها لكل مهتم، أو منشق، أو ملهم، أو منبهر... و حينما تطفو لغات جديدة ظلّت مغبونة لسنوات طوال لافتة الأنظار إليها على الرّغم من ضعفها و قلة تداولها... و حينما تدف لغات سياسات حاکمة على مجتمعات معينة باسطة يديها معلنة ولاءها للثقافات المتواجدة من أجل التّبادل و التّشارك و التّحاور. و حينما نفتتّع بضرورة خلق تعدّد لغوي في المجتمعات النامية لأجل التّوازن و الانفتاح و التّواصل... و حينما ندرك أن المعرفة اللغوية أساس بناء العقول و تهذيبها، و تنظيم المجتمعات و رقيّها. و كل هذا يشعّرنّا بمدى جدیة مقترح التّعدّد اللّغوي و محاولة فرضه ببسر و تسلسل في نظام التّعليم، و في الحياة اليومية، و في الثقافة. رغم التّحدّيات التي تواجهها المجتمعات على مستوى كثرة الأمیة، و جهل بعض النّاس بدروب التّسلّق من أجل التّعلّم، و تأوّف آخرين ممّا يفد عليهم ظنّا منهم بخطر يحقّق بهم لتغييب لغتهم الأم أو لهجتهم.

6. التّعدّد اللّغوي و التّنوّع الثّقافي

تعتبر اللّغة ناقلة للمعرفة في كل العصور و الأزمنة. فكم من علوم تمّ التّعرف عليها عن طريق الترجمة فأفادت الأمم أفراداً و جماعات. و كم من قضايا تمّ قضاؤها عن طريق المعرفة الصّحيحة للغة الغير. تركت الأثر الحسن، و كم من تجارب الغير، قوبلت بالقبول و الانبهار. فأدّت ما عليها دون ضرر أو المسّ بالقيم، و كم من إفادة زكّت عقول النّاس و قلوبهم. و كثيرا من شؤون حياتهم تمّ استقبالها من لغة مجتمعات مختلفة. إنّها أنساق متنوّعة من القيم و الطّاقات و الألوان. فلا حياة لمجتمعات و لا يمكنها أن تستمرّ في حياة هادئة و آمنة، دون وجود التّنوّع الثّقافي المكتسب من الغير. و أنّ هذا لن يجدي نفعاً، طالما لم نتعرّف على ثقافتنا و هويتنا و أنفسنا كما يجب. فهناك عدّة دراسات سوسيولوجية و أنثروبولوجية أنجزت،

تحدثت فيه عن الهوية و التنوع الثقافي. إنَّ فهم و تقييم أنفسنا هي أول خطوة نحو تقييم الآخر، حتى تكون لدينا دلالة وجودية مع الآخر. و أن نكون أكثر انفتاحا و قابلية للتنوع. و من خلال إدراك هويتنا و تنوعنا الثقافي، يمكن لطلبتنا من التعلّم كيف يتمسكون بهويتهم الثقافية و موروثهم الشعبي مع هوية و إرث الآخرين. هو ما أكّدته " اليونسكو" بما يلي: " أنّ التنوع الثقافي ضروري للبشرية مثل التنوع البيولوجي فهو ضروري للطبيعة".

من هنا تتضح لنا رؤية بناء المجتمعات و فرضية انفتاحها وفق مفهوم تواصلية دقيق، يفيد تلك المجتمعات و يبعث فيها أمل تحسين واقعها و بناء مستقبلها. و كل ذلك من خلال ما يستوطن من تعدّد لغوي باعتباره اللبنة الحقيقية و الأولى نحو هذا البناء و الانفتاح على السواء. هذا ما قد يسببه الانغلاق على لغة واحدة من تدمير للذات و الهوية و اللغة، قد تعرف بعض الإخفاق من خلال بحث: "دفيد كريستال" أستاذ اللسانيات بجامعة ' وولز بانكور' الذي اقترح أنّه (في الوقت الزاهن يتمّ موت أو إخفاق لغة واحدة في المتوسط كل أسبوعين. مشيرا إلى أنّه إذا ما استمرّ موت اللغات بهذه الوتيرة فإنّه يتوقّع موت 90% من اللغات المتحدّث بها حاليا في أفق عام 2100. (David crystal.2000.23). فكل هذه الإفادات تصبّ في قالب واحد وتتفق على موقف مماثل يدعو إلى طريق اضطراري، وهو خلق فضاء ملائم و مناسب للتنوع الثقافي داخل المجتمع. ونكوّن من خلاله ذواتنا وتعرفنا على هوياتنا. وغلّق باب تدمير لغاتنا وتأكدنا أن لا محالة من إقرار هذا التنوع الثقافي لأنّه يشكل بالنسبة لنا أرضية خصبة لحياة حقيقية نتنفّسها ونشاق إليها و يكفي هنا، أن ننبه إلى أنّ هذا التنوع قد لا يجدي ومازال في مجتمعات متقفوها وأغلب باحثيها يفكّرون في توفير لقمة العيش اليومية ويعانون من التهميش وإقصاء الذات...وما زالت هذه المجتمعات نفسها تعاني من نقص كبير على مستويات عدّة: صناعية

وتكنولوجية وتجارية واقتصادية وسياسية... مما لا يسمح بهذا التنوع الذي يبقى حلما يتسلقه المثقف والحرفي والتاجر... إلخ. وتعدّ اللغة موضوعا بالغ الأهمية بوصفها وسيلة التواصل الإنساني عبر الاتصال وتبادل الأفكار والعواطف والرغبات، كما عرفها "إدوارد سابري" الأنثربولوجي والليساني (Edward.S.1884-1939) بنسق من الرموز.

وكذا بوصفها مظهر الثقافة الأبرز، لفهم الأفكار والوقائع دون لغة تلقي على عاتقها مسؤولية التحليل والفهم والعرض، كما أنّ إدراك الكون رهين بالمسميات والمعاني التي تحول حوله. بيد أنّ توصيفا على هذه الشاكلة، لابدّ من وجود إشكالات ومعضلات يطرحها توظيف اللغة من منطلق أنّ الصراع الفكري بين الثقافات يستحيل في نهاية المطاف إلى صراع لغات، حيث أنّ للغة منطقها الخالص الذي يعكس مفاهيمها، والاستعمال اللغوي لدى الأفراد مقياسا مهما لمعرفة منطق مجتمع ما، وإلى حدّ كبير معرفة فكره وتطوره من عدمه. لذلك غالبا ما تسعى الشعوب المستقلّة إلى تحديد معامل هويتها اللغوية والثقافية، يتّضح ذلك مثلا في الاجتماعات والمؤتمرات السياسية. حيث يسعى كل طرف إلى إبراز لغته، زيادة على تفعيل السياسة اللغوية التي تشرف عليها الجهات الرسمية عبر ما يسمى بالتخطيط أو التدبير (Planning Language) المتبع في مجتمع ما بغرض الحفاظ على لغته وتسويقها اللغوي فهو في نهاية المطاف دفعا للتغيير اللغوي أو توقيفا له. (Richard Baldauf & Robert Kaplan-1997. 3)

والواقع أنّ التّوصيف السّابق قد يصطدم بمعضلة التّعدّد الثقافي والعربي داخل دولة معيّنة بما يستجلب تعدّدا لغويا يسوقه بالمقابل تعدّد ثقافي ينسحب على كثير من متظاهرات الثقافة بحسب توصيف الأنثربولوجي الانجليزي إدوارد برينت تايلور (1917-1832 Tylor Burnett Edwar) الذي يحدّد الثقافة بوصفها "مختلف

المعارف و المقدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" (E, 41).
 (McDaniel & R, Porter, L Samovar: 2009). غرضنا في هذه الورقة
 يتماشى مع الرغبة في معرفة علاقة الهوية باللغة في مقام أول ثم بحالة التعدد
 اللغوي بشكل أساسي في ظل صراع القيم و المرجعيات من خلال معالجة الإشكال
 التالي: هل يؤدي الإقرار بالتعدد اللغوي إلى صراع في القيم و المرجعيات بالشكل
 الذي يؤثر سلباً على الهوية أم أن الأمر يدعو كونه إضافةً و اغتناءً يؤدي
 بالضرورة إلى هوية مفتوحة تغتني بالتعدد و التنوع؟

7. التعدد اللغوي و التنوع الثقافي

يعتبر تواجد اللغة في المجتمعات مبرراً بمسويات عديدة تتمثل باضطلاعها
 بالوظائف و الأدوار التالية:

1. نزع المظاهر الحسية عن الموضوعات و الوقائع و تثبيتها في شكل صور
 مجردة و العمل على استبطانها بصفة رمزية في ذاكرة نفسية.
2. الربط بين الذهن و الذكر و الواقع. حيث تمثل اللغة مدلولاً تربط بين المدلولات
 المتجسدة في الصور الذهنية أو الموضوعات التي تحيل عليها في العالم
 الموضوعي.
3. تشكيل اللغة آلية لإدراك العالم.
4. الحاجة إلى فحص وجود الذات و إثبات الهوية الشخصية.
5. التواصل مع الغير عبر التواصل مع هوية الآخر. لبناء هوية مشتركة عبر
 اللغة تتجلى في " الهوية الجماعية" (Pierre Bourdieu. 2001..39).
6. التعبير عن الهوية الذاتية و الهوية الجماعية بناء على القيم المشتركة الجامعة
 بين الهويات الجماعية. إن الهوية الذاتية ضرورية لكنها غير كافية، لأنها
 مخيفة طالما أن المرء لا يحيا لوحده بل يحيا في إطار الجماعة. ففي سياق

البحث عن الأمن، اخترع الإنسان آلية اللّغة و طورها ليضمن أمنه عبر الذوبان ضمن هوية جماعية يجد فيها ما يؤمن وجوده و حياته. و ذلك من خلال بناء مشتركات مع الآخر المتميّز و المختلف. و بهذا تضحى الهوية الجماعية عبر اللّغة اشتراكا و تعايشا في ظل الاختلاف و التّمايز. بغاية مواجهة هويات جماعية أخرى. قد تهدّد الهوية الجماعية التي قام بالانصهار فيها طوعا أو كرها قصدا أو قهرا. فاللّغة ضمانة للهوية و مؤمنة لوجود الذات، ضمن الجماعة التي يتقاسم معها من سماتها و قيمها.

إنّ وجود اللّغة وفق هذا النّصّور، مبرّر بالحاجة إلى التّواصل مع الغير و التّعايش مع الآخر. من ثمّ كانت اللّغة آلية دفاعية عن الهوية الذاتيّة المنصهرة ضمن الجماعة المتعايشة. مثلما أنّها مسوغة بالحاجة إلى مواجهة الجماعات ذات الهويات المخالفة للهوية الجماعية قبل الاندماج و العيش فيها، بوصفها هويات مرشحة لأن تقوّض مصالحها و قيمها و وجودها. فيضطرّ بذلك إلى مواجهة الهوية المخالفة عبر اللّغة. فاللّغة إذن، هي آلية للدّفاع. كما هي آلية للمواجهة. و في كلتا الحالتين تشكّل حماية لهوية الذات و لهوية المجتمع، و ليست مجرد وسيلة للتّعبير فقط. (عبد الصمد الرواعي، 2016، 222).

8. مسألة الهوية و التّعدّد اللّغوي في الجزائر و بناء مجتمع متفتّح و متواصل مع

الآخر: تعتبر اللّغة الرّابط الذي يتمّ عبره خرق كل الحواجز كيفما كانت و متى وجدت، و هي بتعبير ويسك بير اللّساني الألماني: (الرّابط الذي يتوسّط تأثير العالم الخارجى على العالم الفطري الدّاخلى للإنسان حيث حاول الباحث البرهنة على أنّ المجتمع الذي يتحدّث أفراداه لغات مختلفة يمكنه إدراك العالم الخارجى بطرق مختلفة

(See The free dictionary <http://gougel.com/Encyclopedia>) فكثير من

المجتمعات التي عانت الظلم و القهر و الاستبداد...استفاقت على منظومة التّعدّد اللّغوي خيارا وحيدا من أجل بناء مجتمعها بناء رصينا. لنأخذ على سبيل المثال اليابان التي انطلقت

في تحديث بلادها منذ فترة الإصلاح المنهجي بين سنوات (1868-1911)، و منذ ذلك التاريخ بدا العمل بجد و مثابرة و استمرارية بكل تقاني. حيث كانت نظرة اليابانيين جَدّ متطلعة نحو مستقبل أفضل على جميع الأصعدة: سياسيا و اقتصاديا و صناعيا و لغويا. كذلك، حيث أسهم برنامج تحديث اليابان فيما خصّه المسؤولون من نقل لغات المجتمع إلى التّوحيد و انفتاحها على لغات أخرى: (إنّ تاريخ تحديث اليابان هو تاريخ تغيير لغوي. فتوحيد الصيغة اللّغوية الأدبية و العاميّة (تواين 1991)، و تأسيس لغة معيار موحدة (استنادا لعام 1987)، و انتشار اللغة الوطنية (كوكيغ) في ربوع اليابان. فهذه كلها مظاهر أو سمات الصعود نحو التحديث في اليابان. كما أنّ إصلاح اللّغة و تطبيق التّعليم الإلزامي يعتبران مقياسين فعليين و مكملين، و ليس للإحلال محلّ البنيات العمودية للتّواصل في الغالب في المجتمع الإقطاعي عن طريق بنيات أفقية أكثر تلاؤما لمطلب التّصنيع و خلق جمهور وطني. (252..2002 oulmas and makoto floriantc)

و قد أكّد باحثون ومفكرون وأكاديميون في فاس 16 يونيو 2014 أنّ التّوّع الثّقافي و التّعّد اللّغوي في المجتمعات، و خلافا لما يعتقد البعض، هو عامل توحيد و تناعم و ليس عامل تفرقة و تجزئة. و اعتبر مجموعة من المتدخلين خلال الجلسة الثالثة من منتدى فاس "روح العولمة"، التي خصّصت لبحث و مناقشة موضوع "المغرب و تحدّيات التّوّع"، أنّ الثّقافة تظلّ إحدى المكوّنات الأساسيّة في إغناء رصيد التّوّع و التّعّد اللّغوي في المجتمعات باعتبارها تشكّل اللّحمة التي تجمع بين مختلف المكونات و تساهم بالتّالي في حماية الهوية الحضارية لأيّ بلد. و في هذا الصدد أكّد "محمد أمين الصبيحي" وزير الثّقافة أنّ المغرب كانت له الشّجاعة في الحديث عن تنوّع الثّقافي و تعدّده اللّغوي الذي شكّل على الدّوام أرضية صلبة لصيانة وحدته و الحفاظ على هويته بكلّ مكوّناتها، مشيرا إلى أنّ مكونات الهوية المغربية و رغم تعدّد روافدها لم تطوّر أبدا ثقافة الخوف من الآخر بل كانت حاضنة له. و قال: إنّ المغرب و في سبيل الحفاظ على هويته و صيانة تعدّده الثّقافي و

اللّغوي. تعهّد بالتزامات و أوفى بها، من بينها اعتراف الدّستور الجديد للمملكة بالهوية الوطنية الموحّدة بغنى و تعدّد مكوّناتها و روافدها، مشيراً إلى أنّ نفس الدّستور يعتبر أنّ التّنوّع الثّقافي و التّعدّد اللّغوي يشكل جزء من الحقوق الثّقافية على اعتبار أنّ هذه الحقوق تساهم في تكريم الإنسان المغربي و الاعتراف بحقوقه الثّقافية و حمايتها. و إلى جانب هذه الالتزامات الدّاخلية، يقول وزير الثّقافة، فإنّ للمغرب التزامات دولية في هذا المجال تتمثّل، بالخصوص، في المعاهدات الدّولية التي وقّعها المملكة ومن بينها معاهدة منظمة (اليونسكو) لسنة 2005 والتي تهدف إلى تمثين و حماية التّنوّع الثّقافي و التّعدّد اللّغوي للبلدان و المجتمعات. إنّ انفتاح المجتمع على باقي الثّقافات و الشّعوب لم يكن في أي وقت من الأوقات مصدر خطر بل شكّل على الدّوام مصدر إغناء و إثراء لمكوّنات الهوية الوطنية. بالإضافة إلى الأزمات و التّحدّيات الحضارية و تحديداً ما يخصّ العالم العربي و مكانته، كما أنّ الوعي الديمقراطي في العالم و ثقافة حقوق الإنسان فرضا الاعتراف بقيمة التّعدّدية الحضارية ممّا دفع الشّعوب للمطالبة بالمحافظة على ثقافتها من خلال إبراز هويتها، و أخيراً عامل يخصّ الأمم التي سبق استعمارها.(عبد السلام المسدي، 2014، 35). و الهوية الثّقافية تظلّ حقّاً، مكفولاً للفرد و المجتمع غير أنّ هذا لا يمنع من الانفتاح على الآخر، مضيئة أنّ جمهورية الغابون تعتمد مقاربة الانفتاح و تدعو إلى السّلم و التّعايش بين الشّعوب و الثّقافات باعتبارها تشكّل بلداً للتّلاقح التّلاقح الثّقافي و الفكري دون أن يعني هذا انسلاخها عن هويتها الحضارية بكلّ مكوّناتها و روافدها الدّينية و العرقية. من جانبه، أكّد إيريك فوطو رينو (باحث فرنسي) أنّ المغرب يشكّل مثالا يحتذى به للتّعايش و التّناغم بين مختلف الدّيانات و الثّقافات، مستنداً بالتّعايش الذي يسود منذ قرون بين المسلمين و اليهود و الذي تظهر في العديد من الأعمال الفكرية والإبداعية التي تؤرّخ للعيش المشترك بين

الجانبين و كذا في المعمار و فنّ العيش. و أوضح أنّ التّوّع الثّقافي و التّوّع اللّغوي يشكّلان مصدر غنى و ثراء للحضارة الإنسانيّة، مشيراً إلى أنّ الأساس هو أن يرى الإنسان ما الذي سيستفيد منه من الآخر و ليس الخطر الذي سيأتي منه. و قال إنّ التّعّدّد واقع و رهان يومي يحتاج إلى نوايا صادقة لإثرائه و جعله أحد مكوّنات الهوية المجتمعية للدّول، مشيراً إلى أنّ تكريس هذا التّعّدّد يبدأ من القبول بالآخر و احترام الاختلاف و حماية مختلف الأشكال و التّعبير الثّقافية و الفنيّة للمكوّنات التي تشكّل الهوية الوطنيّة. كما أكّد " الدكتور محمد داود" في محاضرة له، أنّه يوجد في الجزائر لغتين وطنيتين رسميتين (العربيّة و الأمازيغيّة)، إلى جانب اللّغة الفرنسيّة بصفتها لغة أجنبيّة، فضلاً عن العديد من اللّهجات العاميّة. و أضاف في محاضرتّه أنّ الجزائر تتميّز بكونها تتّسع لمجموعة كبيرة من الثّقافات المحليّة، التي تختلف من منطقة لأخرى. فضلاً عن تميّزها بفضاء جغرافي كبير ينتمي إلى العمق الإفريقي و العربي - الإسلامي و المتوسطي. موضّحاً أنّ تاريخها ينتمي من العصر النّوميدي إلى الفترة الحاليّة، هذه المميّزات اللّغوية و الثّقافية و الجغرافية و التّاريخيّة تجعل من دولة متعدّدة و متنوّعة على جميع المستويات، و هي أمور تطرح بشكل حادّ مسألة الهوية و مفهوم الدولة الوطنيّة و خاصّة لما تعرفه المنطقة من تحولات و مسارات جدّ عميقة، و ما يفرز من أوضاع غير ثابتة على عدّة مستويات، الهويّاتي منها و السياسي و الجغرافي. و في هذا السياق، يتعيّن على قادة الرّأي و الفكر و الفاعلين السياسيين و أصحاب القرار، أن يدركوا الرّهانات القائمة التي ترافق العولمة و نهاية الأيديولوجيات الشّموليّة، كما أكّد ذلك "محمد داود"، في محاضرة التي حضرها العديد من الأكاديميين و الطّلبة الجامعيين طرح هذه الإشكاليات ضمن مسعى فكري يأخذ بعين الاعتبار الانسجام الاجتماعي و الثّقافي و الوحدة التّرابيّة للبلاد.

9. استنتاج عام

نستخلص مما تقدّم، أنّ التّعدّدية اللّغوية ضرورية لنموّ الثقافات و تواصل الشّعوب. ثمّ إنّ الرّقي الحضاري لا يمكن أن ينشأ في معزل عن التّواصل الثقافي مع الأمم الأخرى. لهذا فإنّ التّعدّد اللّغوي و التّنوّع الثقافي خطّان متوازيان من خطوط الحضارة. و قد يطرح الإشكال حول التّعدّد اللّغوي، فيقال بأنّه تفرّيط في اللّغة الأم و إهمال للهوية الوطنية القومية. لكن في بعض الدّول مثل الهند، نجد أنّه توجد 22 لغة رسمية معترف بها، وهو ثراء و تعدّد، يدلّ عن وجود تنوّع ثقافي. و هي تحمل القيم و الهويات التي تسعى للتّواصل في حدود البلد الواحد. إنّ التّعدّد اللّغوي يمثّل توسيعا لآفاق الفكر و وسيلة حوارية وتواصلية بين الثقافات و الأديان و الحضارات عامّة. و في خضمّ التّحوّلات التي تجري في المسرح الدّولي، تصبح اللّغة عاملا مساعدا على عيش كل فرد و إقامته لروابط تضامنية. و كذا قوّة تدفع نحو التقارب بين الشّعوب و الثقافات. كما أنّ العلاقة بين التّعدّد اللّغوي و التّنوّع الثقافي تعتبر علاقة تبادلية صالحة في الاتجاهين، فالتّعدّد اللّغوي يؤدّي إلى تنوّع الثقافات. والتّنوّع الثقافي يجعلك أمام حتمية إتقان لغة أخرى على الأقل، من أجل الفهم والتّواصل مع الآخر. و التّعدّد اللّغوي يعبر أيضا، عن سعة وديناميكية الفكر وقابليته للتّطوّر. أمّا التّنوّع الثقافي فهو دليل على رقي الإنسانية و قبول الاختلاف واحترام الآخر. و إذا كان البعض يرى في التّعدّد اللّغوي خطرا على اللّغة الأم، و يرى في التّنوّع الثقافي انسلاخا عن الهوية القومية. فعليهم أن يسعوا لفهم طريقة تفكير الشّعوب الأخرى و ثقافتها، بدلا من الخوف و الانغلاق. وعليه، لما لا نتعلّم لغة قوم فنفهم عليهم و نفهمهم ثقافتنا و نعرفهم على أنفسنا وثقافتنا حقّ المعرفة؟ إنّ اتّخاذ المواقف السّلبية و الآراء المسبقة المكوّنة تحت طائلة وسائل الإعلام أو أي عامل آخر، يجرد الإنسانية من معانيها، و يعيق تقارب الأمم و تعايشها.

وعليه، وجب من الفرد الانفتاح على اللغات الحية، و وجب على الفرد قبول الثقافات الأخرى و السعي لفهمها و التفاعل معها. و إنّ التعدّد اللغوي المنظم والمتوازن و المثري للهوية الثقافية للمجتمع. هو ما يمكن أن يجعل من اللغات الأجنبية وفق هذا التّصور، قيمة مضافة كآليات مدعّمة للتّحصيل العلمي و التّواصل الثقافي و التّطور الحضاري. هو ما تأكّد في تجارب الدّول الغربية، أنّ في التّنوّع اللغوي ثراء و غنى و ليس مثيرا للفتنة و الفرقة. طالما كان منظّما و مبنيّا على تساوي الحقوق الثقافية و اللّغوية للأفراد و الجماعات. و هي نماذج يمكن استخلاصها عن كندا و سويسرا و بلجيكا... إلخ. لهذا، نعتقد أنّ الرّؤية المكيافيلية النّفعيّة لإنتاج سياسة لغوية تقوم على تنظيم الشّأن اللّغوي و التّعدّد اللّغوي في المجتمعات العربية تقتضي مايلي:

1. الاعتراف بالتّنوّع اللّساني المثري للهوية النّقائية للمجتمع.
 2. بناء تعدّد لغوي حقيقي يفتح على اللّغات الحيّة باعتبارها آليات للتّسمية و التّفاعل النّقائي و الحضاري.
- و يمكن الجزم في هذا المقام، أنّ التّعدّد اللّغوي و التّنوّع النّقائي خاضعان لمعتقدات و خلفيات و حدود فكر كل واحد منّا. فالتّعدّد اللّغوي حالة إيجابية و وضعية راقية سواء للفرد و المجتمع. خصوصا حينما يتمّ تجسيده عن طريق تدبري لغوي راق يأخذ على عاتقه تطوير اللّغة أو اللّغات الوطنية في مقام أوّل. و تشجيع تعلّم اللّغات الأجنبية و توقّر شروط ترقّبتها و استعمالها خصوصا في المجالات البحثية والاقتصادية. فيكون التّعدّد بهذا المنطق، مدخلا لتنافس إيجابي بين الأفراد والمجتمعات ليس بغرض الإقصاء و الإحالة إلى العدم، و إنّما إيجاد أجواء التّناسف المفضية للاجتهاد و الإبداع. فيعتمد الفرد إلى تعلّم أكثر من لغة، كما يتعايش المجتمع الذي يتحدّث أفراداه أكثر من لغة، و الأمر يحول أيضا على الإنسان

برمتها. من منطلق أنّ اللغة هي الفكر، وكلّما عمد الإنسان إلى تطوير فكره و جعله أكثر تحضراً كلّما انعكس الأمر إيجابياً على واقع اللغة و من ثمّ اللّغات الأخرى.

10. خاتمة

وفي الختام يحلو لنا أن نقول، أنّ اللّغات لها دور راق في بناء المجتمع و النّفاهم مع الآخرين من مختلف النّقافات و الدّيانات و الاعتقادات. ودون فهم النّقافات المتنوّعة وتعلّم اللّغات العديدة لا يمكن لنا أن نحقّق أحلام المواطنة العالمية. لبتنا نحسن استخدام اللّغات لنمدّ جسور التّواصل بين الأمم، لنسعى نحو مزيد من الإطّلاع التّابع من إتقان لغة أو أكثر، لتضيئ دروب المعرفة على أمل أن يعمّ السّلام في العالم حين يتوفّر مزيد من الفهم لحقيقة الآخر المجهول، فما أروعها هيمنة اللّغات حين يتمّ توظيفها للتّواصل بين الشّعوب. وللحوارات النّقافية بينها، لصناعة الفرد الايجابي البناء. و من ثمّ تنمية و تطوير مجتمعاتها في كل المجالات الحيوية. إنّ للغة أدواراً و وظائف. من جملتها إدراك الذات والآخر.

وتشكيل عالمنا وفق الرّؤية التي نريد ويُرَاد لنا بها. لكونها تمثّل آلية لاكتشاف الكون ومراة عليها تنعكس بوضوح ذواتنا. وعليه نقول، إنّ الإنسان موقف، والموقف اختيار، والاختيار إرادة.

إنّ، في هذه الورقة البحثية، نجزم أنّ نجاح التّعدّد اللّغوي في مجتمع ما، هو رهين بتجاوز مواطن الاستلاب الحضاري. وملح ذلك هو إحساس بهوية مطمئنة مفتتحة بمجالها التّداولي، وتغتني بالإضافات المحقّقة عبر إسهامات اللّغات والنّقافات المختلفة الأخرى، مع العلم أنّ صراع القيم والمرجعيات أمر وارد في التّعاملات بين البشر والمجتمعات في ظل منطق الحوار والتّواصل ضمن أبجديات التّعايش والتّواصل، والعرفان والتّسامح والتّصالح مع الآخر، بيد أنّه يفقد معناه وجدواه

حينما يتحوّل إلى صدام، مبدأه و منتهاه هويات متعصّبة تعتمد على الإقصاء و اللا اعتراف بمبدأي التّواصل و التّعايش.

11. المراجع

1. عبد الصمد الرواعي، 2016، التعدد اللغوي والوظائف البديلة للغة، مقال منشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي العدد 16-17 المملكة المغربية.
2. عبد الباسط متولي خضر، د.ت، أثر تعلم لغة أجنبية في سن مبكر على النمو اللغوي للطفل.
3. علي عبد الواحد وافي، 2007، علم اللغة، نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
4. بن عيسى النّيجي، 2002، التّعدّدية اللّغويّة وسيلة الاتّصال والثّقافة، محاضرات النّدوة الدّوليّة، تلمسان، الجزائر.
5. لزمد الأوراعي، 2002، التعدد اللغوي انعكاسات و على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط.
6. محمد داود، 2018، جامعة أحمد بن بلة (وهران 1)، محاضرة بعنوان التعدد اللغوي والثقافي في الجزائر : مقارنة سوسiolوجية، في إطار نقاشات *الكراسك*.
7. عبد السلام المسدي، 2014، الهوية العربية والأمن اللغوي: دراسة وثائق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
8. محمد علي الخولي، 1988، الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)، الرياض: المملكة العربية السعودية 1408 هـ.
9. ميشال زكريا، 1998، قضايا السنّية تطبيقيّة، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة ت ارثيّة"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
10. Bourdieu Pierre. 2001. Language et pouvoir symbolique. Edition du seuil. paris.
11. Florianc oulmas and makoto. 2002. Japan's nascent multilingualism ; watanabe mouton de gruyer.
12. Jean. Pierre Cup, 2000, Dictionnaire de didactique de Français, paris.
13. [https:// translate.google.com /2015/06/2 plurilinguisme](https://translate.google.com/2015/06/2/plurilinguisme), Edition Hartmann, Paris, (1979).
14. <http:gougel.com//> See The free dictionary Encyclopedia. .

15. Unisco .2012. Universal declaration on cultural diversity; retrieved 24.
16. Richard Baldauf & Robert Kaplan-1997 ة Language Planning from Planning MattersةLTD ة Multilingual, Theory USA .
17. -E, McDaniel & R, Porter, L Samovar-:2009.Communication I Boston, Learning Cengage Wadsworth, Reader A , USA.P10.